الفصل السابع

كتابة تقرير البحث وإعداده للنشر

بعد أن ينهي الباحث بحثه ويصوغ نتائجه، يحتاج غالبا لنشر البحث في مجلة علمية، أو تقديمه للجهة التي مولت البحث. وعادة ما يتم ذلك من خلال ما يسمى(تقرير البحث). في هذا الفصل سوف يتم الحديث عن كتابة تقرير البحث، وما يجب أن يتضمنه حتى يقبل في المجلات العلمية. وكذلك سيقدم هذا الفصل عرضا لمعايير الصرامة العلمية والجودة في البحث العلمي النوعي التي ترقى به عن أن يكون مجرد تأملات ذاتية سطحية.

قبل البدء تجدر الإشارة إلى أمر تم التنبيه عليه مرارا، وهو أن البحث النوعي قد لا يكون معروفا لدى كثير من المسؤولين عن التحرير في المجلات العلمية العربية، وربما لا يكون معترفا به. فكثيرا ما يُنظر للباحثين النوعيين في الأوساط الأكاديمية على أنهم صحفيون، أو علماء لطيفون soft scientists وأن عملهم غير علمي، وإنما ذاتي واستكشافي exploratory (Denzin & Lincoln, 2000, p. 1)، فكثير منهم لا يرى البحث إلا من خلال المنظور الكمي الوضعي، ومقياس البحث لديه عدد ما فيه من جداول أو إجراءات إحصائية. بل قد يقول البعض ساخرا – كما يشير (هوليداي، ٢٠٠٨) – إن الباحثين النوعيين يستطيعون فعل ما يريدون وأن احتمالات

البحث مفتوحة وغير مقننة ولا يوجد ما يمنع من الاستغراق في الذاتية ، وأنه يجوز فعل أي شيء وليس هناك صرامة ومحاسبة علمية من أي نوع! ولذلك فعلى الباحث أن يتوقع أن من سيقرأ بحثه سيكون قد ألِف التوجه الكمي في البحث، وربما كان لا يرى الصواب في غيره، فلا بد أن يكون الباحث دقيقا في كتابة تقرير البحث، بحيث يتمكن من بيان التوجه الذي ينطلق منه، ويسكن مخاوف المسؤولين عن التحرير من عدم الالتزام بالمنهج العلمي. والشيء نفسه قد يحصل مع المحكمين الذين تلجأ إليهم المجلات العلمية أو مراكز البحوث.

وقد يكون لدى مسؤولي التحرير بعض العذر في النظر للبحوث النوعية على أنها غير جادة، أو لا تلتزم المنهج العلمي، وذلك لأن كثيرا من الباحثين يكتفي بذكر موجز لمنهجية بحثه دون شرح وافٍ يبين ما تم في البحث ومقدار ما بذل فيه من جهد بشكل واضح، وكيفية الوصول للنتائج، فقول الباحث بأنه استخدم المنهج الظاهري في دراسته معتمدا على المقابلة، لا يكفي لبيان طريقة البحث. بل لا بد من بيان ما المنهج الظاهري، ولماذا اختير، وكيف تمت المقابلات، وفي أي وضع؟ وغير ذلك من المعلومات التي يجب أن تكون متوفرة لدى القارئ ليطمئن على موثوقية البحث.

وتقرير البحث هو وصف عملية البحث وتلخيص لنتائجه، وهو يختلف عن عملية البحث نفسها. ويخلط بعض الباحثين بين تقرير البحث وبين الرسالة العلمية (دكتوراه أو ماجستير)، بحيث يتوقع أن تقرير البحث هو رسالة علمية مختصرة. وتقرير البحث وإن كان قد يتشابه مع الرسالة العلمية إلا أنه أكثر اختصارا وأقل تكرارا وتفصيلا من الرسالة العلمية، ويستغنى فيه عن بعض أقسام الرسالة العلمية أو تدمج باختصار في غيرها. وكتابة تقرير البحث مهارة تحتاج إلى ممارسة، فقد يقوم الباحث بتطبيق بحثه بشكل جيد والخروج بنتائج مفيدة، لكن صياغة تقرير البحث قد تكون عقبة في سبيل نشره.

عناصر تقرير البحث

وضعت مجلة الإرشاد والنمو الأمريكية Journal of counseling & Development أربعة عناصر أساسية لكتابة تقرير البحث النوعي، يجب أن تكون متوفرة في أي بحث يقدم لها، تصلح لأن تكون عناصر أساسية لتقديم البحث النوعي سواء في مجلة أو مؤتمر علمي، وهذه العناصر هي:

١- الخلفية.
٢- الطريقة.
٣- تحليل البيانات.
٤- النتائج والمناقشة.

ومع أن المجلات الأخرى قد لا تتقيد بهذا التنظيم، إلا أنه من المفيد السير عليه لتسهيل عملية الكتابة. وفيما يلي بيان لكل عنصر.

أولا: خلفية البحث

حيث يتم عرض النظرية والبحث الذي قامت عليه الدراسة، لتقديم إطار نظري متماسك للدراسة. كما يتم في هذا القسم توضيح المنهجية الفكرية التي انطلقت منها الدراسة. ويجب أن يشمل هذا القسم أيضا هدف الدراسة أو سؤالها، بحيث يوضح ماالذي يريد أن يفهم الباحث من دراسته. كذلك يجب مراجعة أدبيات الموضوع، وبيان التوجه البحثي، داخل التوجه النوعي، الذي تم اختياره.

ثانيا: الطريقة

لبيان موثوقية الدراسة يجب أن يقدم الباحث للقارئ وصفا مفصلا لعملية جمع البيانات، بما في ذلك بيان كيفية اختيار المشاركين ومكان البحث، ولماذا؟ إن كان هناك خيارات أخرى متاحة. وما نوعية الأسئلة التي طرحت، إن كان الأسلوب هو المقابلة، وكيف قدمت للمبحوثين؟ وما نوع الملاحظة؟ إن وجدت، وكم استغرقت؟. وكيف تم توثيق البيانات وتسجيلها، وكم بلغت؟

obeikandl.com

ومن المفيد الإشارة لمقدار الوقت الذي أنفق في عملية جمع البيانات، وكذلك الوقت المنفق في الدراسة كاملة. كذلك من المهم بيان تعدد مصادر البيانات، وكيف أن الدراسة حرصت على نقل صورة دقيقة بقدر الإمكان للخبرة موضع الدراسة.

أيضا ينبغي بيان دور الباحث وما هي الأساليب التي استخدمها للبعد عن الذاتية التي تؤثر سلبا في البحث. وبيان ما قد يكون من تأثير للباحث في جمع البيانات أو تحليلها.

وفي الجملة على الباحث أن يضمن في هذا القسم من التقرير كل ما يسهم في زيادة موثوقية بحثه من خلال توضيح مفصل لطريقته في تنفيذه بما يطمئن القارئ أو المحكم أن الباحث قد تعامل مع بحثه بجدية ومهنية.

ثالثا: تحليل البيانات

في هذا القسم من تقرير البحث يجب أن يقدم الباحث وصفا مفصلا للطريقة الاستقرائية التي استخدمها في تحليل بياناته، بحيث يبين للقارئ كيف نظم البيانات وكيف صنفها، وكيف رمزها. ثم يبين طريقته في التأليف بين تلك الأجزاء، وكيف فسرها. ويجب أن يقدم الباحث أدلة أو شواهد على عمق التحليل، من خلال بيان الخطوات التي قام بها للتحليل، ومن خلال بيان كيفية الانتقال من البيانات المفردة إلى الفئات ثم إلى المحاور الفرعية انتهاءاً بالمحاور الرئيسية. وذلك لبيان الترابط المنطقي وأن الربط لم يكن قسريا من الباحث. واستخدام عبارات المبحوثين من الأشياء تجعل القارئ يشارك الباحث في عملية التحليل، وتشعر القارئ بأن الباحث يحترم صوت المبحوث في بيان المعنى ويتبعه بدل أن يقوده ويفرض عليه معانيه هو.

ولا يكفي أبدا، في هذا القسم، أن يقول الباحث إنه حلل البيانات باستخدام برنامج حاسوبي. بل هذا لا يعني أي شيء على المستوى العلمي للتحليل. ولايعطي

أي صورة عن الجهد الحقيقي الذي بذل، فالذي يقوم بالتحليل هو الباحث، وما البرامج الحاسوبية في البحث النوعي، على عكس البحث الكمي، إلا برامج لإدارة وتنظيم المحتوى لتسهل على الباحث عملية التحليل والتعامل مع البيانات، وذلك بسهولة تصنيفها وسرعة استرجاعها والبحث فيها. أما التحليل فشيء لا يستطيعه الحاسوب في البيانات النوعية، (على الأقل في البرامج الموجودة الآن)، بل من الباحثين المتمرسين من يفضل التعامل مع بياناته بأقل تدخل من الحاسب، وذلك لأن كثرة تقليب صفحات البيانات والاطلاع عليها واستحضار أكبر قدر منها في وقت واحد يجعل الباحث قريبا من بياناته، ويجعلها حاضرة دائما في ذهنه.

رابعا: النتائج والمناقشة

في هذا القسم يذكر الباحث التفسيرات والنتائج التي نبعت من البيانات وتجذرت فيها، وكيف توصل إليها، مقدما أمثلة تبين للقارئ عمق النتائج التي تم التوصل لها. وإن أمكن فيقدم الباحث أيضا أدلة على إمكانية الانتقالية (التعميم) بمستوى من المستويات. ومقدرة الباحث على توصيل المعنى ـ أو القصة ـ الذي يتضمنه البحث يعطي انطباعا جيدا عن دراسته. ويجب أن يفرق الباحث في هذا القسم بين الوصف والتفسير. ومن المهم أن يدعم بعض النتائج بمقاطع من البيانات كما وردت في البيانات الخام التي جمعها، ليشاركه القارئ في التوصل للنتيجة. وعلى الباحث أيضا حال وجود تفسيرات أخرى يحتمل أن تتبادر لذهن القارئ أن يبين لماذا اختار ما اختاره من تفسير، وقدمه على ما سواه.

وتشير تشارماز (Charmaz, 2006) إلى أن مقدار الشرح الذي يقدمه الباحث وعمقه في بحث يعد للنشر يعتمد على المجلة وقرائها. إن بعض المجلات ترغب في أن يكون تقرير البحث مختصرا، وأخرى ترغب في الإسهاب والتفصيل. ولذلك فمن المهم

الاطلاع على شروط المجلة وضوابط قبول البحث فيها ومن المفيد الاطلاع على نماذج من البحوث المنشورة فيها.

في كثير من الأحيان تكون كتابة البحث النوعي مختلفة جدا في جوهرها عن الكتابة في البحث الكمي، فالكتابة في البحث النوعي تصبح قصة من قصص الاكتشاف، يصنع فيها الكاتب المعنى بالتدريج ليس فقط لبياناته ولكن لكل الخبرة التي يمثل البحث فيها نتاجا بشريا، فالبحث الكمي يسعى لاختزال البيانات بحثا عن رؤية واحدة أو صوت واحد، بينما البحث النوعي يسعى لإظهار أصوات متعددة (Thody, 2009)، كما هي الظواهر بطبيعتها على أرض الواقع. ومع هذا فمعرفة ضوابط الكتابة الأكاديمية التقليدية ضرورية للحفاظ على دقة وعلمية البحث النوعي (هوليداي، ٢٠٠٨).

ومع اتباع الخطوات السابقة فقد يكون من المفيد أن يتصل الباحث بالمجلة التي يريد أن ينشر فيها بحثه ليستفسر عن مدى قبولهم لنشر البحوث النوعية، فقد يكون الرفض في التحكيم الأولي نتج عن عدم إدراك المحكم (أو عضو هيئة التحرير في المجلة) لطبيعة البحث.

وكتابة تقرير البحث كأي نوع آخر من الكتابة، تحتاج إلى كتابة مسودة ومراجعة وتنقيح قبل أن تخرج في صورتها النهائية. وقد يسهل الأمر وجود نموذج أو قالب يبدأ الباحث بالسير عليه، ثم يتوسع شيئا فشيئا. ومن المهم عند كتابة تقرير البحث أن يكون الباحث قد حدد الوعاء الذي يريد النشر فيه، مثل مجلة أو مؤتمر، وذلك ليتقيد بضوابط الكتابة فيه منذ البداية، فهذا أسهل من أن يكتب التقرير ثم يعدله فيما بعد. وعادة ما تقوم كل مجلة بنشر ضوابطها وأسلوبها في النشر في بداية كل عدد أو على موقعها على الإنترنت. ومع أن غالب المجلات التربوية تعتمد نمط الكتابة

الذي حددته جمعية علم النفس الأمريكية (APA) (وهو الذي اعتمده هذا الكتاب، فيما يتعلق بتوثيق المراجع) إلا أنه يجب التأكد من ذلك، إذ هناك أنماط أخرى معتمدة في تخصصات أخرى مثل أسلوب MLA (جمعية اللغات الحديثة Modern Language Association) في مجال اللغات والعلوم الإنسانية.

وفيما يلي قائمة بالنقاط التي يركز عليها بشكل عام المحكمون ورؤساء التحرير (Mertens, 2005)

- وضوح المشكلة.
- الترابط المنطقي لسير الأفكار.
- أهمية الموضوع المطروح (خاصة لقراء المجلة المستهدفة للنشر).
- مناسبة تصميم البحث لمشكلته.
- تناسب النتائج مع تحليل البيانات.
- أسلوب الكتابة .
- مناسبة الكتابة الأكاديمية (بحيث لا يكون الأسلوب انطباعيا).
- مدى الحاجة لتحرير ومراجعة.
- مناسبة المراجع (من حيث الكم والكيف والتاريخ، وشمول الدراسات المهمة).

وعادة ما تطلب المجلات ملخصا للبحث، فعلى الباحث أن يعد ملخصا لبحثه باللغة العربية واللغة الإنجليزية يتراوح بين ١٠٠ و٢٠٠ كلمة، يتكلم فيه باختصار عن ثلاث نقاط أساسية، وهي: الهدف من البحث، والطريقة، وأهم النتائج. والاهتمام بالملخص يعطي انطباعا حسنا عن البحث وعن جدية الباحث، إذ هو عادة أول ما يقرؤه رئيس التحرير (والمحكم) بعد العنوان.

obeikandl.com

ومما يجب أن يتنبه له الباحث عند كتابة تقرير البحث أن لا يغرق في الوصف على حساب التحليل (Meriam,2009). في الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه) قد يسوغ للباحث بحكم المساحة الممنوحة له، أن يتوسع في الوصف ويورد نقولا كثيرة لدعم أفكاره التحليلية ونتائجه، لكن في المجلات العلمية عادة ما يميل المحررون (خاصة في المجلات الأجنبية) إلى الاختصار، ما يعني ضرورة عدم التوسع في النقول الوصفية والتركيز بدلا من ذلك على التحليل والاقتصار على ما هو ضروري لدعم التحليل.

معايير الحكم على جودة البحث النوعي

يعد البحث النوعي توجها جديدا نسبيا في البحث التربوي. ولعراقة أسلوب البحث الكمي فقد استقرت في العرف التربوي فضلا عن المحيط الأكاديمي قواعد المنهج العلمي المتمثلة في البحث الكمي المعتمد على الأرقام والعمليات الإحصائية، مما جعل الأرقام والإحصاءات جزءًا أساسا من عملية البحث وعلامة على الدقة والصرامة المنهجية. ولذا واجه المنهج النوعي في البحث، رغم تقبل كثير من المراكز العلمية التربوية له، تحديا يتمثل في بيان انضباط البحث النوعي، والقدرة على إيجاد معايير لجودة هذا النوع من البحث.

في التوجه التقليدي للبحث النوعي هناك معايير مستقرة يتفق عليها الباحثون ومعتمدة لدى محرري ومحكمي المجلات والدوريات العلمية، فهناك الصدق الداخلي (ويعني في البحث التجريبي، درجة تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع)، والصدق الخارجي، (ويعني مدى إمكانية تعميم نتائج البحث أو تطبيقها على أوضاع مشابهة)، والثبات، ويعني مدى إمكانية الوصول إلى نفس النتائج بإعادة التطبيق. بالإضافة إلى وجود الأجزاء الرئيسة في تقرير البحث (أو الرسالة العلمية) مثل المشكلة والسؤال وهدف الدراسة وأهميتها ووصف منهجيتها وعرض النتائج ومناقشتها.

ولذلك فمن أكثر القضايا المثيرة للجدل في البحث النوعي هي كيفية تقويم البحث النوعي والحكم على جودته (Lichtman, 2010). وبالرغم من أن كثيرا من المجلات بدأت في تقبل منهجية البحث النوعي إلا أن موضوع إيجاد معايير دقيقة لتقويم البحث النوعي تضاهي معايير تقويم البحث الكمي لم يحسم بعد (Lichtman,2010). ولأن البحث النوعي يشتمل على العديد من التوجهات والطرق القائمة على أسس نظرية مختلفة فقد صار متقررا لدى كثير من الباحثين استحالة الاتفاق على معايير محددة لتقويم هذا النوع من البحث (Rolfe, 2006; Smith & Deemer, 2000)، إلا أنه مع ذلك لا زالت الدعوات مستمرة لإيجاد معايير لذلك، ولو في الحد الأدنى لضمان "علمية" البحث.

ويؤكد ليتشمان (Lichtman, 2010) أنه بسؤال عدد من محرري المجلات العلمية التي تنشر بحوثا نوعية، ومن ضمنها مجلات متخصصة في البحث النوعي، لم يجد لديهم معايير واضحة مكتوبة للحكم على جودة البحث النوعي.

ومع أنه قد ظهرت بوادر اتفاق في بعض المجالات إلا أنه لا زال الخلاف قائما في مجالات أخرى (Rolfe, 2006). وقد استمر الجدل حول تحديد ما هو البحث النوعي الجيد في التربية وعلم النفس (Johnson & Fossey et al., 2002; Waterfield, 2004; Rolfe, 2006 ؛ Morse, Barrett, Mayan, Olson, & Spiers, 2002). وبغض النظر عن الحقل العلمي فإن أكثر الباحثين متفقون على عدد من الخصائص التي تميز البحث النوعي الجيد، مثل خصائص الموثوقية التي ذكرها لنكلن وجوبا (Lincoln & Guba, 1985) وبعض الجوانب المتعلقة بصرامة والانضباط المنهجي للبحث . فنكلن وجوبا يريان (ككثير من أنصار البحث النوعي) أن الصدق والثبات المعروفين في البحث الكمي لا يتوافقان مع الفرضيات الأساسية في توجه البحث النوعي، ولذا طرحا ما أسمياه بالموثوقية Trustworthiness، وعناصرها المتمثلة في المصداقية credibility

والانتقالية transferability والاعتمادية dependability إطارا مناسبا لتقويم البحث النوعي. وقد أكد جوبا ولنكلن على أنه إذا اراد الباحث النوعي أن يقدم نتائج مقنعة فعليه، أولا، أن يقدم معلومات كافية عن المشاركين في البحث (عينته) وميدانه ليتمكن القارئ من الحكم على مدى تطابق نتائج البحث على الأوضاع التي لديه. ثانيا، على الباحثين استخدام أساليب جمع معلومات مناسبة وأساليب تحليل عميقة لإظهار جدية البحث وإقناع القارئ أن النتائج التي توصل لها البحث ذات مصداقية. وأخيرا يجب على الباحث أن يعرض اتساقا بين البيانات والنتائج من خلال بعض الأساليب كجداول التتبع audit وتعدد الطرق triangulation والمذكرات الانعكاسية reflexive journaling . وفي السنوات الأخيرة كان هناك تأكيد على الصرامة الإجرائية (Johnson & Waterfield, 2004; Rolfe, 2006; Tobin & Begley, 2004) ، حيث يظهر الباحث جدية البحث واستقامة منهجه وتوافقه مع أخلاقيات البحث العلمي (Tobin & Begley, 2004)، كما يظهر انضباط البحث من الناحية المنهجية ومن الناحية التفسيرية، فمعيار الصرامة ضروري لإظهار قيمة البحث النوعي، وللتفريق بينه وبين الكتابات الانطباعية أو الرصد الوصفي السطحي. فالصرامة، بشكل عام، في البحث النوعي تعني أن البحث النوعي يشمل على عبارات توضح الجوانب المنهجية الأساسية التي اعتبرها الباحث أثناء بحثه، وهذا يشمل خبرات الباحث السابقة مع موضوع البحث وافتراضاته حوله، ومسوغات استخدام التوجه النوعي بشكل عام في البحث، وكذلك استخدام نوع معين من البحث النوعي، وعلاقة ذلك بسؤال البحث. بالإضافة إلى وصف طريقة اختيار العينة (أو مجتمع الباحث والمشاركين فيه) وطرق جمع المعلومات. كما أن على الباحث أن يبين كيف أن قناعاته وتوجهاته أو علاقته بالمشاركين في البحث أثرت (أو لم تؤثر) في البحث، سواء في جمع المعلومات أو في

تحليلها و تفسيرها. كما أن الصرامة العلمية يجب أن تبين التطبيقات التي تتضمنها النتائج في المجال العلمي للدراسة [بحيث تعد الدراسة إضافة علمية].

ويذكر جاسلين و أوديل (Jacelon & O'Dell, 2005) خمسة معايير لتقويم البحث النوعي. وهي:

١- الغنى الوصفي ويعني ذلك وضوح وصف الباحث لدراسته ودقة معلوماته فيما يتعلق بسياق الدراسة والمشاركين وجمع المعلومات وعمليات التحليل.

٢- لتطابق المنهجي ويعني ذلك التوافق بين الإستراتيجيات المستخدمة في الدراسة وبين الطريقة المختارة في البحث. فإذا اختار الباحث طريقة النظرية المؤسسة، مثلا، فلا يمكن أن يتبنى الإطار النظري الظاهري، كما يشمل هذا وجود الصرامة في توثيق الدراسة والالتزام بالمنهج وأخلاقيات البحث.

٣- الدقة التحليلية، وتهتم بتحقيق الموثوقية للبحث، وخاصة احترام تتبع خطوات البحث، ويتبين هذا المعيار من خلال ظهور الربط بين البيانات والنتائج التي يتوصل لها الباحث.

٤- الارتباط النظري ويعني ذلك أن يكون الإطار النظري المقترح من الباحث أو المقدم في البحث واضح ومنطقي ويعكس البيانات بشكل غير متعسف، ومتوافق مع القاعدة المعرفية لمجال الدراسة.

٥- الارتباط التفسيري heuristic relevance ويهتم هذا المعيار بمدى ارتباط الدراسة بالقاعدة المعرفية الشخصية للقارئ، وعلاقة الدراسة بالمعرفة الموجودة وبمدى إمكانية تطبيق نتائج الدراسة.

مفهوم آخر أيضا يجب التنبه له عند الرغبة في إخراج بحث نوعي ذي جودة، وهي التلاحم coherence أو تماسك البحث ووحدته المنهجية والموضوعية (Kline, 2008)، ويسميه آخرون (Jacelon & O'Dell, 2005) التوافق المنهجي

methodological congruence ؛ حيث يتم عند تقويم البحث النوعي النظر إلى تلاحم هدف البحث والأسس النظرية المعرفية له وطريقة البحث وطريقة التحليل وطريقة تقديم النتائج، بحيث يقوم البحث وأهدافه وأسئلته وطرق جمع المعومات وتحليلها على منظور معرفي واحدا بشكل متسق. بمعنى أن الباحث عندما يختار نوع البحث النوعي الذي يراه مناسبا لسؤال دراسته (مثل النظرية المؤسسة، أو الظاهرية) فإنه يجب أن يلتزم الأسس النظرية الخاصة بهذا النوع في كل إجراءاته، من جمع المعلومات إلى تحليلها وكتابة تقرير البحث. وقد حددت كثير من مراجع البحث النوعي معايير يستطيع الباحث من خلالها اختيار طريقة البحث النوعي المناسبة لسؤال بحثه. وبعد تأكد الباحث من توفر الصرامة والتلاحم في بحثه يجب أن يقدمه بالتنظيم التالي ولكي يضمن تحقيقه للحد الأدني من متطلبات النشر لدى كثير من المجلات.

المقدمة: فكل بحث يجب أن يحوي عبارات تحدد المشكلة وتحدد أهمية تلك المشكلة. فهذه العبارات أساسية في تقديم مسوغات مقنعة للدراسة، بحيث يجيب الباحث على السؤال: ما أهمية هذه الدراسة للمجال العلمي الذي يتخصص فيه الباحث. كما عليه أن يوضح لماذا كان المنهج النوعي أنسب في دراسة تلك المشكلة. وليجيب الباحث بشكل جيد فعليه أن يراجع الأدبيات مراجعة ناقدة ليبين الجوانب الإيجابية في استخدام البحث النوعي في هذا السياق. ويتم ذلك من خلال بيان جوانب النقص في البحوث المتوفرة.

صياغة هدف الدراسة: وسؤال الدراسة الأساسي، ومسوغ استخدام البحث النوعي، فبعد وصف مشكلة الدراسة وبيان أهميتها يقوم الباحث ببيان هدف الدراسة وصياغة سؤالها الرئيس، لتحديد ما الذي يريد تحقيقه من خلال هذه الدراسة، وكيف أن المنهج النوعي (أو الطريقة المختارة تحديدا، ستحقق هذا. ونجاح الباحث في هذه الجزئية مما يساعده على أن يكون بحثه مقبولا لدى محرري المجلات العلمية أو لجان الرسائل العلمية. وهذا الربط مهم لبيان الصرامة المنهجية والتلاحم. بعد بيان هدف البحث

وتقديم سؤاله، على الباحث أن يحدد طريقة البحث النوعي التي اختارها، مثل أن يختار التوجه الظاهري، أو النظرية المؤسسة، أو البحث التفسيري، أو الإثنوجرافي، ويقدم تعليلا لهذا الاختيار. وضمن التعليل يجب أن يوضح الباحث باختصار لماذا كان هذا النوع من البحث هو الأكثر مناسبة للإجابة على سؤال البحث أو لهدف البحث.

توضيح طريقة التحليل: فبعد بيان طريقة البحث المختارة، على الباحث أن يقدم وصفا واضحا لعملية التحليل. ويجب استخدام المصطلحات المعتمدة في مراجع الطريقة المختارة. كما أن هذا القسم يجب أن يتناول موضوع العينة، وكيفية اختيارها أو تعيينها ولماذا، بمعنى أن يبين كيف أن هذه العينة وطريقة اختيارها تتناسب مع طريقة البحث المختارة. ويجب في هذا القسم بيان طريقة تحليل البيانات، لإعطاء شيء من الموثوقية والصرامة المنهجية للبحث. وغالبا ما تكون المقابلة أسلوبا أساسيا في جمع المعلومات، فيجب أن يبين الباحث نوعية المقابلة وكيف تمت، ويزود تحليله بنصوص موثقة (قصيرة) من كلام المقابلين لتوضيح التحليل وإعطائه مزيدا من المصداقية. ويجب أن يقتصر التحليل على مجرد النقل من كلام المقابلين، بل الأصل أن يصوغ الباحث ما توصل إليه من خلال تحليله لأجزاء كثيرة من البيانات، ثم يستشهد عليه ببعض النقول المناسبة وذات الدلالة. ويجب أن يتم في المقابلة طرح أسئلة سبق الإعداد لها متعلقة بسؤال البحث، وترتبط بأدبياته.

بيان عملية التحليل: يقوم الباحث بزيادة المصداقية في بحثه عندما يصف بالتفصيل إجراءات عملية التحليل، حيث يجعل ذلك واضحا للقارئ. ويجب أن يعتمد الباحث في إجراءاته على المراجع المعتمدة في كل نوع من البحث النوعي. وفي سبيل هذا يجب أن يستخدم مصطلحات أدبيات ذلك النوع، كاستخدام الترميز المفتوح والترميز المحوري والتشبع في العينة عند الحديث عن التحليل بطريقة النظرية المؤسسة. أو استخدام (الحجب) bracketing عند التحليل الظاهري. وفي الجملة يجب أن يشعر القارئ (ومحرر المجلة أو المحكم) أن الباحث يعتمد على أساس علمي في تعامله مع بحثه، وليس على مجرد آرائه الشخصية.

عرض النتائج: يجب أن يكون تقديم النتائج متسقا مع الطريقة المختارة في البحث النوعي، فمثلا طريقة النظرية المؤسسة يجب أن تنتج نظرية قائمة على البيانات المتوفرة، والبحث الظاهري يجب أن ينتج وصفا للخبرة والوعي اللذين يعيشهما المشاركون في البحث وما يبنونه من معاني منها، كما يجب أن ينتج البحث النوعي الإثنوجرافي وصفا عميقا للثقافة المستهدفة وما تتضمنه من معانٍ ورموز. ويجب أن تتناسب النصوص المنقولة المختارة لتأييد النتائج مع التوجه الذي تنحوه طريقة البحث، فنقول النظرية المؤسسة يجب أن تدعم بناء النظرية أو شيئا من أسسها، والنقول التي في الطريقة الظاهرية يجب أن تعكس وعي المشارك بالخبرة موضع الدراسة وما يمثله له ذلك من معنى، وفي طريقة الإثنوجرافي يجب أن تركز النقول على الخصائص المميزة للثقافة ورموزها والمعاني الخاصة بها.

المناقشة: في هذا القسم تتبين قدرة الباحث النظرية واللغوية، وتتبين قيمة بحثه العلمية، وما تقدمه من إضافة إلى المجال العلمي. يحوي هذا القسم عادة عددا من العناصر (مع أن هذا قد يختلف من طريقة إلى أخرى).

١- مقارنة النتائج أو ما يتوصل إليه الباحث مع نظريات المجال العلمي ونتائج البحوث السابقة. وهذا يعطي للباحث مجالا للإضافة العلمية من خلال مناقشة النتائج والنظريات السابقة في ضوء نتائج دراسته.

٢- مناقشة جوانب القصور في الدراسة، لكن في ضوء التوجه النوعي (لا الكمي) للبحث وباستخدام مصطلحاته.

٣- التطبيقات التي يمكن أن تستفاد من نتائج البحث في المجال العلمي للبحث، وما يمكن أن يتم من أبحاث إضافيه انطلاقا من هذا البحث. ويجب أن يتذكر الباحث أن البحث النوعي لا يهدف إلى الوصول إلى نتائج حاسمة ونهائية، بل هو استثارة لنقاش مستمر.

وترى ليتشتمان (Lichtman,2010) أن هناك عددا من التوجهات في تقويم البحث النوعي، والحكم على مدى جودته، كما ترى أيضا أن هذا التقويم مر بثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى: في أوائل انتشار التوجه النوعي كان هناك ميل لتبني معايير جودة (أو علمية) البحث الكمي، وكان الهدف كسب اعتراف الباحثين الأكاديميين ومحرري المجلات، بالإضافة إلى أنه لم تكن هناك معايير واضحة للبحث النوعي غيرها.

المرحلة الثانية: مع مرور الوقت حاول كثير من أنصار البحث النوعي إيجاد معايير مماثلة لمعايير البحث الكمي أو موازية لها، فخرج مفهوم الموثوقية المتمثل في:

١- المصداقية، يستخدم مصطلح المصداقية مقابلا لمصطلح الصدق الداخلي في البحث الكمي، والذي يعني أن يقيس الاختبار ما وضع لقياسه.

٢- الانتقالية، في البحث الكمي يطلق الصدق الخارجي على ما إذا كانت نتائج دراسة يمكن أن تنطبق على حالة أخرى، ويسمى التعميم. يقابل هذا في البحث النوعي الانتقالية.

٣- الاعتمادية، يستخدم هذا المصطلح في مقابل مصطلح الثبات في البحث الكمي، فالثبات يعني أنه لو أعيد تطبيق الاختبار في نفس الظروف سيحقق نتائج مشابهة.

٤- التطابقية، التطابقية (أو القابلية للتأكيد) تقابل الموضوعية في البحث الكمي (Lincoln & Guba,1985). وهذا يعني الإجابة على السؤال: هل يمكن أن تؤكّد نتائج البحث عن طريق باحث آخر؟ أو من خلال نتيجة بحث جديد؟.

المرحلة الثالثة: مع تنامي قبول البحث النوعي واستقلاليته ووضوح منهجيته كان هناك تحول إلى معايير أكثر ارتباطا بخصائص البحث النوعي، مثل دور الباحث، وقدرته على إيصال أفكار البحث للقارئ، واشتمال بياناته وإجراءاته على تفصيلات دقيقة. بالإضافة إلى قدرة البحث على إقناع القارئ وتقديم نتائج متسقة مع منهجية البحث وبياناته.

ويسوق لاركين (Larkin,2002) عن (Lichtman, 2010) عددا من المعايير للحكم على البحث النوعي:

١- امتلاك المنظور الخاص بالباحث، والتفكير في الذاتية والانحياز.
٢- انتاج رابط متلاحم بين النظرية والتطبيق.
٣- التركيز على المعنى.
٤- تفسير السياق واعتباره والحساسية تجاهه .
٥- اتخاذ موقف يعتمد النهايات المفتوحة لجمع البيانات وتحليلها.
٦- جمع معلومات غنية وعميقة والانخراط العميق فيها.
٧- التوازن بين وصف البيانات وتفسيرها.
٨- تقديم تحليل شفاف، بحيث يكون مؤسس/ قائم على الأمثلة.
٨- تقديم تحليل متماسك وصادق وذي معنى للقارئ.
٩- إعطاء إحساس بما هو متميز (مخالف) مع اعتبار ما هو مشترك.
١٠- صياغة نتائج عميقة وواضحة.

هذه هي أهم المعايير التي يجب أن يراعيها الباحث عند كتابة البحث النوعي، لكن يبقى أن قيمة البحث النوعي النهائية، والميزة الأساسية له على المنهج الكمي والتي يجب أن لا يخلو منها أي بحث نوعي هي القدرة على التعمق في الظاهرة وتقديم فهم أعمق لها واستخلاص معانٍ لا يتم الوصول لها عادة من خلال البحث الكمي.

ملخص الفصل

اشتمل هذا الفصل على موضوعين أساسين في كتابة البحث النوعي، الأول أقسام البحث النوعي، سواء في البحث المراد نشره في مجلة علمية أو خطة بحث لرسالة علمية، وكذلك أهم معايير الجودة في البحث العلمي النوعي.

obeikandl.com